تهذيب المعاجم واختصاراتها في التراث العربي " مختار الصحاح للرازي نموذجاً "

د. يوسف زرده *

عبد الرحمن مرعي السليمان العبد الله **

(تاريخ الإيداع 27 / 11 / 2016. قبل للنشر في 25 / 5 / 2017)

□ ملخص □

ينعقد هذا البحث لمناقشة حركة تهذيب المعاجم واختصاراتها في التراث العربي حتى القرن الثامن الهجري ، ورصد دورها في ررد الحضارة العربية والإسلامية بمؤلفات قيمة تكاملت مع المؤلفات الأصلية في تشكيل مشهد ثقافي يرقى بها إلى مستويات معرفية لا يختلف اثنان حول أهميتها . ولجاء ذلك يعرض البحث تعريفاً بالتهذيب والاختصار وبواعثهما في التراث العربي ، ثم يتناول معجم " مختار الصحاح " لأبي بكر الرازي بالدراسة التطبيقية ، فيقدم وصفاً لمختصر الرازي وعلاقته بالأصل ، وبعدها يدرس منهج الرازي في التهذيب و أسلوب الاختصار ، وينتهي البحث بقراءة النتائج التي خلص اليها ، والتي تتوخى إثبات القيمة المضافة لتلك المختصرات على المعاجم الأصلية .

الكلمات المفتاحية : التهذيب ، الاختصار ، التأليف ، المعاجم .

* أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين - اللاذقية - سورية .

** ماجستير - قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين - اللاذقية - سورية .

Lexicons Retouch and its Abbreviation in Arabic heritage "The exemplary of al-razy's Mukhtar Al-Sehah"

Dr. yusuf zaradah*
Abd Alrahman Al- Abd Allah**

(Received 27 / 11 / 2016. Accepted 25 / 5 / 2017)

□ ABSTRACT □

This research takes place to discuss the movement of lexicons retouch and its abbreviation in arabic heritage until the eighth century AH , and monitoring it's role in supplying the arabic and I slamic civilization in value composers integrated with the original compositions in formation of cultural landscape by elevating it to levels of knowledge which is indis putable about their importance. to clarify that displays search polite definition and abbreviation and the reasons of composition them In the arabic heritage, and then mukhtar al-shehah's lexicon by " abo bakr al-razi" deals with a selected chapter , provides adescrri of the razi's abbreviated and relationship to the asset , then razi's curriculum taught in the abbreviation and civility , and the research ends reading findings .

Which envisages demonstrate added value of these abbrevi on the original lexicons .

key words : Retouch, abbreviation, authoring, dictionaries.

*Assistant Professor ; Arabic Language , Faculty of Arts and Humanities , Tishreen University Department , Lattakia , Syria.

** Postgraduate Student; Department of Arabic Language , Faculty of Arts and Humanities , Tishreen University , Lattakia , Syria.

مُقَدِّمَةٌ :

يتمتع نتاج المعاجم العربية القديمة بالثراء ، ويشكل نبعاً غزيراً لا تستنفذه الدراسات مهما كثرت ، فعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت التراث المعجمي العربي بالبحث ، والمراجعة ، والنقد ، فإن هناك بعض المعاجم لا تزال حتى الآن أرضاً بكرًا ، لم يعمل فيها النقد أدواته بشكل كافٍ .

وقد وجد اللغويون أنّ هذه المعاجم الأصلية ضخمة جداً ، وبحاجة إلى تصنيف وتبويب واختزال ، ومن هنا نهض بعض المؤلفين بمهمة تهذيب هذه المعاجم الأصلية واختصارها وفق أسس متعدّدة ، فظهر ما يسمّى بتهذيب المعاجم و اختصاراتها، التي سيحاول البحث مقاربتها ، واستجلاء بواعثها ، ودورها في تطوّر التراث العربي .

أهميّة البحث وأهدافه :

تأتي أهميّة الدراسة من عاملين اثنين :

- 1 - قلّة الدراسات التي تناولت هذه المختصرات ؛ إذ لم يتجاوز نقد المعاجم حدود تأليف مقدمات للمختصرات المحقّقة .
 - 2 - إنّ هذه المختصرات تشكل مرآة تعكس المعطيات الحضاريّة ، والثقافيّة ، التي رافقت العصر الذي كتبت فيه .
- ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على مختصرات المعاجم ، وإبراز أهميّتها على المستوى الفكري ، والثقافي ، والنقدي ، كما يهدف إلى مواكبة هذه المختصرات لتطوّر مناهج التأليف عند العرب القدماء ، وتحديد أسباب هذا الضرب من التأليف ، ودوره في رقد الصيرورة الحضاريّة للأمة العربيّة بمعطيات جديدة .

منهجية البحث :

يقوم البحث على المنهج الوصفي بوصفه أداة إجرائيّة تمكّن الباحث من إمعان النظر في المواد اللغويّة وتحليلها بهدف وصف "مختار الصحاح" وبيان علاقته بالأصل ؛ لتحديد المفاهيم والإجراءات المنهجية التي اتّبعتها الرازي في اختصاره لمعجم "الصحاح" للوصول إلى المناهج المتبعة في تهذيب المعاجم واختصاراتها في التراث العربي .

أولاً : تعريف التهذيب والاختصار وأهدافهما .

1 - تعريف التهذيب والاختصار :

التهذيب لغة : " التتقية . وأصلُ التهذيبِ : تَنْقِيَةُ الحَنْظَلِ من شَحْمِهِ ، ومُعَالَجَةُ حَبِّهِ ، حتى تَذَهَبَ مرارتهُ ، وَيَطْيَبَ لَأَكْلِهِ " (1) . واصطلاحاً : " التهذيبُ في التصنيفِ : الاختصارُ المنقَحُ بال حذفِ وغيره " (2) .

والاختصار لغة: هو حذفُ الفضولِ من كلِّ شيءٍ . واختصارُ الكلامِ : إيجازُهُ ، والاختصارُ في الكلامِ : أن تدعَ الفضولَ ، و تستوجزَ الذي يأتي على المعنى " (3) . واصطلاحاً: " الإيجازُ بتقليلِ المباني مع إيفاء المعاني " (4) .

¹ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن علي . لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 3 ، 1994 ، مادة (ه ذ ب) .

² يعقوب ، إميل ؛ بركة ، بسام ؛ سيخاني ، مي . قاموس المصطلحات اللغويّة والأدبيّة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ، 1987 م ، ص 153 .

³ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن علي . لسان العرب ، مادة (خ ص ر) .

2 - بواعث تهذيب المعاجم وأهدافه :

مع تطوّر حركة تأليف معاجم في التراث العربيّ ، وتشعب علومها ، وتعدّدها ، وانتشار الاستطراد فيها ، برزت الحاجة إلى التهذيب والاختصار ، من منطلق حصر الفوائد ، وترتيبها ، وتيسيرها للقراء .
وتعدّدت أسباب ظهور حركة تهذيب المعاجم واختصاراتها في التراث العربيّ ، وترتبط هذه الأسباب ارتباطاً وثيقاً بالأهداف التي يتوخى المُختصِر بلوغها عبر اختصاره ، فمؤلف المختصرات لابد أن يكون مدفوعاً بدوافع ذاتية أو موضوعية في تأليفه ، وسعيّاً وراء أهداف يرى فيها فوائد ، قصر عنها الكتاب الأصليّ ، أو أنّها مبنوثة في تضاعيفه دون ترتيب ، أو غير ذلك من البواعث والأهداف ، ومنها :

1 - النزول عند رغبة الأمراء ، و الوزراء ، وأهل العلم ، في اختصار الكتب القديمة والمعاجم :

عمد بعض المؤلفين إلى اختصار أمهات الكتب التراثية والمعاجم ، نزولاً عند رغبة الأمراء أو الوزراء ، الذين كانوا حريصين على الانتفاع من العلوم الكامنة في هذه الكتب ، إلا أنّ كثرة مشاغلهم من جهة ، ورغبتهم في تيسير قراءة الكتب الطويلة والمعاجم بزمنٍ قصيرٍ من جهة أخرى ، دفعتهم إلى الطلب من علماء يخدمون في بلاطهم أو خارجها اختصار هذه الكتب والمعاجم، إضافةً إلى الغاية العلمية التي دفعت أهل العلم في بعض الأحيان إلى الطلب من علماء عصرهم اختصار معاجم بعينها ، رغبة منهم في تهذيب منهجها ، وشرح فوائدها . ومن الأمثلة على ذلك " مختصر العين " لأبي بكر الزبيديّ (ت 379 هـ) الذي ألّفه للحكم المستنصر بناء على رغبته، ونال إعجابه .

2 - أهمية المعاجم ، والاستطراد والتطويل الحاصل فيها :

تختزن المعاجم مجموعةً كبيرةً متنوعَةً من المعارف فهي حافلة بالأخبار ، والحكايات ، والأحاديث ، والتفاسير ، والشواهد المختلطة ، والتعليقات النحوية والصرفية والتاريخية ، والمصطلحات العروضية ... وغيرها (5). وقد استلزم هذا التنوع إطالة في الحديث عند بعض المعجميين ، فكانوا يكثرّون من الشرح والتعليق ، ويستطردون في مواضيع مختلفة، دفعاً للسأم تارةً ، و تعزيزاً للفائدة تارةً أخرى، إلا أنّ هذا التطويل قد شقّ على القراء، فكان أنّ نهض بعض العلماء اللاحقون بتهذيب هذه المعاجم واختصارها ، متخفّين من الحديث المكرر، والمعلومة المتواترة ، دون أن ينكروا أهمية الأصل وفضله . ومن الأمثلة على ذلك " مختصر التهذيب " لعبدالكريم بن عطاء الله الإسكندريّ (ت 612 هـ).

3 - نقد المعاجم ، وتصحيح الأغلط الواردة فيها :

على الرغم من غزارة العلم الكامن في المعاجم التراثية القديمة، إلا أنّها لا تخلو من زلاتٍ ، وأغلطٍ ، و آراءٍ تحتمل النقاش ، كما أنّها لا تخلو من غموضٍ أدى إلى الغلط في قراءتها أو نسخها ، وقد شكلت هذه الأغلط باعثاً على تأليف مؤلفاتٍ كثيرةٍ لاحقةٍ لهذا الأصول تُعنى بتهذيب أخطائها ، ونقد بعض أفكارها ، وبعدّ هذا الباعث من أهم البواعث على تأليف مختصرات المعاجم . ومن الأمثلة على ذلك " مختار الصحاح " لمحمد بن أبي بكر الرازيّ .

4 - صعوبة البحث في المعاجم ، وقصور الهمم عن الإلمام بها :

إنّ المعاجم تتميّز بوصفها خزناً من المعارف المتنوعة ، ويتطلب ذلك من القارئ جهداً أكبر في تتبّع فوائدها، وقد قصرت الهمم في العصور اللاحقة عن ذلك ، نظراً لصعوبة البحث في هذه المعاجم وتشعبها ، وكان أن نهض بعض المُختصِرِين بمهمة تلخيصها. ومن الأمثلة على ذلك "جوهرة الجمهرة " للمصاحب بن عبّاد (ت385هـ).

⁴ يعقوب ، إميل ؛ بركة ، بسام ؛ سيخاني ، مي . قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ، ص 151 .

⁵ شرف ، محمد ياسر . اضطراب معاجم اللغة العربية ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العددان 461 - 462 ، 2009م، ص 17 .

ثانياً : وصف معجم مختار الصحاح وصلته بالأصل.

يقف البحث عند معجم (مختار الصحاح) لأبي بكر الرازي ، محاولاً وصفه قبل دراسته وتحليله ، بوصفه أنموذجاً للمعاجم المختصرة ، ولا بد لنا قبل ذلك كله من الوقوف عند الأصل الذي بُني عليه المُختصر ، وهو معجم " تاج اللغة وصحاح العربية " للجوهري ، محددين الباعث على تأليفه ، ومصادره ، ومنهجه ، وأهميته ، والمآخذ عليه ، ثم مختصراته التي انتخبنا منها " مختار الصحاح " .

1 - تاج اللغة و صحاح العربية :

صنّف الجوهري⁽⁶⁾ معجم " تاج اللغة وصحاح العربية " ، فنال الكتاب وصاحبه شهرة واسعة ، وقال عنه ياقوت الحموي : " كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلماً ، وأصله من بلاد الترك من فاراب ، وهو إمام في علم اللغة والأدب ، وخطّه يضرب به المثل في الجودة ... وله من التصانيف : كتاب الصحاح في اللغة . وهذا الكتاب هو الذي بأيدي الناس اليوم ، وعليه اعتمادهم " (7) .

وقد شغل بالصحاح العلماء المشتغلون باللغة ، وأعجب الناس بتبويبه ، وكان فتحاً جديداً في المعاجم العربية ، سار على طريقه كثيرون ، وتبعه العديون أمثال ابن منظور والفيروز آبادي ، فصاحبه رثب مواد معجمه وفق منهج جديد في الترتيب المعجمي وهو نظام الباب والفصل ، ثم التزم في معجمه أن يأتي بالصحيح من اللغة . ولذلك سمى معجمه (الصّاح) بكسر الصاد وفتحها (8) .

وقدم الجوهري لمعجمه بمقدمة موجزة جداً ، قال فيها : " إني قد أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة التي شرف الله تعالى منزلتها ، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها ، على ترتيب لم أسبق إليها ، وتهذيب لم أغلب عليه ، في ثمانية وعشرين باباً . وكلّ باب منها ثمانية وعشرون فصلاً ، على عدد حروف المعجم وترتيبها ، إلا أن يُهمل من الأبواب جنس من الفصول ، بعد تحصيله بالعراق رواية ، وإتقانها دراية ، ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية . ولم أَل في ذلك نصحاً ولا أدخرت وسعاً " (9) .

وقد طرح الجوهري نُظم المعاجم السابقة له ، واكتفى بهذا النظام المعروف بالتنقيح أو القافية ، أو الباب والفصل . فالصحاح مقسم على ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف الهجاء ، ثم قسم كلّ باب إلى فصول تكثر في باب ، وتقلّ في باب بحسب الكلمات الموجودة فعلاً في اللغة ، وترتب هذه الفصول بحسب ترتيب حروف الهجاء باستثناء تقديم الواو على الهاء .

⁶ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى في العقد الأخير من القرن الرابع الهجري ، أخذ اللغة عن أبي علي الفارسي ، وأبي سعيد السيرافي ، وعن خاله أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الفارابي ، من كتبه : " الصحاح " ، و " العروض " ، و " مقدّمة في النحو " . السيوطي ، جلال الدين . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، 1 ط ، 1965 م ، 1 : 446 .

⁷ الحموي ، ياقوت . معجم الأدباء ، تح : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1993 م ، 2 : 656 .

⁸ اختلف العلماء في ضبط الصحاح : أهو بكسر الصاد أم بالفتح ؟ إذ لم يرد عن المؤلف ضبطه ، وهو صالح أن ينطق بالكسر أو بالفتح ، ولا لوم على الناطق بأحدهما .

ينظر : الهابط ، فوزي يوسف ، المعاجم العربية موضوعات وألفاظاً ، الولاء للطبع والتوزيع ، مصر ، ط 1 ، 1992 م ، ص 133 .

⁹ الجوهري ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 2 ، 1979 م ، المقدمة ص 33 .

ثم راعى في ترتيب الألفاظ داخل الفصول الحرف الثاني في الثلاثي ، والثاني والثالث في الرباعي ، والثاني والثالث والرابع في الخماسي ، وفاقاً لترتيب حروف الهجاء واحداً تلو الآخر ماعدا تقديم الواو كما قلنا .
وطريقة الكشف عن معنى كلمة من الكلمات في " الصحاح " تبدأ بتجريد الكلمة من حروفها الزوائد ، وإذا كان في الكلمة حرف مقلوب تعيده إلى أصله ، ثم تنظر في آخر حروف الأصول فهو الباب ، ثم الحرف الأول وهو الفصل ، ثم ما بينها وفق الترتيب الهجائي ، مثل : (قال) تعيد الألف إلى أصلها الواو لأنها منقلبة عنه ، فتجد

الكلمة في باب اللام فصل القاف ثم الواو .

كما اهتم الجوهري بإيراد الأحكام والقواعد النحويّة والصرفيّة ، وعني بالأعلام . ولجأ إلى الضبط عن طريق التمثيل أو العبارة .

وكان الجوهريّ وفياً للمنهج الذي أشار إليه في مقدمته، بيد أنّه لم يكن ملتزماً بالصحيح ، وهو الثابت المحفوظ عن العرب ، فأورد في معجمه ما لم يصحّ ولم تثبت روايته، كما أنّه أورد المعرّب ، والدخيل ، وذكر لغات ضعيفة، أو متروكة ، أو منكورة ، أو قليلة نادرة ، إلّا أنّه أشار إلى ذلك ⁽¹⁰⁾ ، وقد تتبّع السيوطي بعض ذلك ونبه عليه ⁽¹¹⁾ .

كما أخذ على " الصحاح " امتلاؤه بكثير من التصحيفات التي ردها بعضهم إلى النسخ منهم الرازيّ ، وردها بعضهم الآخر إلى الجوهريّ نفسه ومنهم الفيروز آبادي ، هذا بالإضافة إلى هنات أخرى أخذت عليه : " من خطأ في وضع بعض المواد ، وخطب بين المعتل والمهموز ، وخطأ في التفسير أو التعليل النحويّ أو الصرفيّ ، وخلل في الشواهد وما إلى ذلك " ⁽¹²⁾ .

وقد أثار " الصحاح " جدالاً كبيراً بين العلماء والمشتغلين باللغة منذ تأليفه إلى يومنا هذا ، وقامت حوله حركة لغويّة نشيطة من تكملة ، ونقد ، واستدراك ، وتصحيح ، واختصار ، و تحشية، وجمع بينه وبين غيره من الكتب، وأثرت المكتبة العربيّة بالعديد من المؤلفات اللغويّة ، ومن ذلك : (التكملة على الصحاح) لرضي الدين حسن بن محمّد الصغانيّ (650هـ) ، و (حواشي الصحاح) لابن بزّي ، و (تهذيب الصحاح) للزنجانيّ (656هـ) ، و (نقد الصحاح) لابن الحاج الأشبيليّ (651هـ) ، و (مختصر الصحاح) ابن الصائغ دمشقيّ (722هـ) ، و (مختار الصحاح) لمحمّد بن أبي بكر الرازيّ ⁽¹³⁾ .

2 - مختار الصحاح :

مؤلفه محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازيّ (ت بعد سنة 691هـ) لغويّ، ومفسّر، وفقه، وصوفيّ، وأديب له نظم ونثر. ولكن أخباره قليلة ، ولا يعرف تاريخ ولادته ، ولا تاريخ وفاته على وجه التحديد، وقد اتّسم العصر الذي عاش فيه بالاضطراب السياسيّ والحروب الطاحنة ؛ ولهذا اضطربت فيه الاتجاهات الفكرية المتباينة ، والنزعات

¹⁰ ينظر : الجوهريّ ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربيّة ، مادة (دل ب) و (زر ب) و (د ش ب) .

¹¹ ينظر : السيوطيّ ، جلال الدين . المزهري في علوم اللغة ، تح : محمّد جاد المولى - محمّد أبو الفضل إبراهيم - عليّ محمّد البجاوي ، المكتبة العصريّة ، بيروت ، 1986 م ، 1 : 110 - 111 .

¹² الهابط ، فوزي يوسف . المعاجم العربيّة موضوعات وألفاظاً ، الولاء للطبع والتوزيع ، مصر ، ط 1 ، 1992م ، ص 137 .

¹³ ينظر : نصار ، حسين . المعجم العربيّ : نشأته و تطوّره ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ط 4 ، 1988 م ، 2 : 396-416 .

الدينيّة المختلفة، وانتعشت الصوفيّة. وكان الرازيّ - وأصله من الري - من كبار الصوفيّة الذين أولعوا بالأسفار والرحلة في طلب العلم ، فزار مصر والشام والعراق والأناضول، واتّصل بالعلماء وطلاب العلم في هذه الأقطار . وللرازيّ مؤلفات عديدة في تفسير القرآن، واللغة، والبلاغة، والتصوّف (14). وله خبرة في إيجاز المعلومات واختصارها ، تجلّت في تفسيره الموجز المعروف بـ (إنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من آي التنزيل) ، وفي مصنّفه (كتاب الأمثال والحكم) الذي قال عنه في مقدّمته : " إنّه مُختَصَرٌ ، جمع فيه ما تفرّق من الأبيات المفردة وأنصاف الأبيات ، التي ما زال الفضلاء يتمسكون بها في مكاتباتهم ومخاطباتهم " (15) .

وفي معجمه (مختار الصحاح) ، تصدّى الرازيّ لاختصار (الصحاح) الذي يقع حالياً في ستة مجلدات مطبوعة ، ولخصه في معجم صغير عنوانه (مختار الصحاح) .

وقد صرّح الرازيّ في مقدمته أنّه اقتصر على ما لا بدّ من معرفته وحفظه لكثرة استعماله وجريانه على الألسن، واجتنب فيه عويص اللغة و غريبها طلباً للاختصار وتسهيلاً للحفظ ، ولم يقتصر على ما ورد في المعجم الأصليّ فقط ، وإنّما رجع إلى معاجم أخرى فيفيد منها، أو يضيف من معلوماته الخاصة استكمالاً للفائدة. فيقول : " وضمّمتُ إليه فوائد كثيرةً من تهذيب الأزهريّ وغيره من أصول اللغة الموثوق بها ، وممّا فتح الله عليّ " (16). كما بيّن الرازيّ سبب اختياره لمعجم الصحاح دون غيره من المعاجم المطوّلة الأخرى ، فيقول: " هذا مُختَصَرٌ في علم اللغة جمعته من (كتاب الصحاح) للإمام العالم العلامة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ رحمه الله تعالى: لما رأيتُه أحسن أصول اللغة ترتيباً ، وأوفرها تهديباً ، وأسهلها تناولاً ، وأكثرها تداولاً ، وسميّه (مختار الصحاح)" (17) .

فهو هنا لا يُغفل عنوان المعجم الأصليّ ، ولا يهمل اسم مؤلّفه ، بل يذكره بتقديرٍ واحترامٍ ، ويترحم عليه، كما لا يغفل طريقته في ترتيب مواد المعجم على نظام الباب والفصل (18). ثم يوضّح الرازيّ لنا أهداف الاختصار ، فيذكر أنّه أعدّ (مختار الصحاح) ليكون معجماً أساسياً ميسراً " لكلّ عالمٍ فقيهٍ ، أو حافظٍ ، أو مُحدِّثٍ، أو أديبٍ " (19) . فهو ليس للمتخصّصين في علوم اللغة كما هو حال المعجم الأصليّ " الصحاح " ، وإنّما توخى الرازيّ أن يجعل (الصحاح) في متناول عامة المثقفين حجماً ومادة، دون أن يجزّده من مزاياه المفيدة ، وخصائصه المجيدة .

ثالثاً : منهج الرازيّ في تهذيب مختار الصحاح ، وأسلوب الاختصار .

لاحظ الرازيّ ضخامة منهج الصحاح واضطرابه ، مع إقراره بغزارة العلم الواردة فيه ، إلّا أنّ تشعب هذه العلوم، واستطراد المؤلّف في سردّها ، جعل تتبّعها صعباً على طالب العلم .

¹⁴ ينظر: عطار ، أحمد عبدالغفور . مقدّمة الصحاح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 3 ، 1984م ، ص 202 .

¹⁵ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . تفسير الرازيّ ، تح : محمّد راضون الداية ، دار الفكر ، بيروت ، 1990 م ، ص 9 .

¹⁶ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، دققه : عصام فارس الحرسانيّ ، دار عمار ، عمان ، ط 9 ، 2005 م ، المقدّمة ص 5.

¹⁷ المصدر نفسه ، المقدّمة ص 5 .

¹⁸ كان ترتيبه مثل ترتيب الصحاح ، ولكن الأستاذ محمود فاخر أعاد تنسيق موادّه حسب ترتيب أوائلها في حروف الهجاء ، نزولاً عند رغبة وزارة المعارف المصريّة .

ينظر : نصّار ، حسين . المعجم العربيّ : نشأته وتطوّره ، 2 : 397 .

¹⁹ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، المقدّمة ص 5 .

وبعد إمعان النظر في مواد (مختار الصحاح) ، ومقارنتها بالمواد الأصلية في (الصحاح) ، يمكننا أن نستخلص وسائل التهذيب و الاختصار التي استخدمها الرازيّ . وهي :

1 - إعادة ترتيب المفردات المعرفية :

اعتمد الرازيّ طريقة ذكية لترتيب المفردات المعرفية⁽²⁰⁾ في معجم "مختار الصحاح" ، تساعد على اختصارها، وعلى تجنب التصحيف والتحريف اللذين يصيبان عين الفعل الماضي ، والمضارع ، و مصدرهما ، و اسمي الفاعل والمفعول إذا كانا شاذين .
وخلاصة الطريقة أنه ذكر في المقدمة أنواع الأفعال الثلاثية الستة " فَعَلَ يَفْعُلُ ، فَعَلَ يَفْعُلُ " في ستة أبواب ، ثم نصّ على موازين في كلّ باب منها ، على النحو التالي:
الباب الأول : " فَعَلَ يَفْعُلُ " ، المذكور منها سبعة موازين : " نَصَرَ يَنْصُرُ نَصْرًا ، دَخَلَ يَدْخُلُ دُخُولًا ، كَتَبَ يَكْتُبُ

كِتَابَةً ، رَدَّ يَرُدُّ رَدًّا ، قَالَ يَقُولُ قَوْلًا ، عَدَا يَعْدُو عَدْوًا ، سَمَا يَسْمُو سُمُوًا " .
الباب الثاني : " فَعَلَ يَفْعُلُ " ، المذكور منها خمسة موازين : " ضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْبًا ، جَلَسَ يَجْلِسُ جُلُوسًا ، بَاعَ يَبِيعُ بَيْعًا ، وَعَدَ يَعِدُ وَعْدًا ، رَمَى يَرْمِي رَمِيًا " .

الباب الثالث : " فَعَلَ يَفْعُلُ " ، المذكور منها ميزانان : " قَطَعَ يَقْطَعُ قِطْعًا ، خَضَعَ يَخْضَعُ خُضُوعًا " .
الباب الرابع : " فَعَلَ يَفْعُلُ " ، المذكور منها أربعة موازين : " طَرِبَ يَطْرِبُ طَرْبًا ، فَهَمَ يَفْهَمُ فَهْمًا ، سَلِمَ يَسْلَمُ سَلَامَةً ، صَدِيَ يَصْدِي صَدَى صَدَى "

الباب الخامس : " فَعَلَ يَفْعُلُ " ، المذكور منها ميزانان : " ظَرْفَ يَظْرَفُ ظَرْفًا ، سَهَلَ يَسْهَلُ سُهُولَةً " .

الباب السادس : " فَعَلَ يَفْعُلُ " ، وهو قليل لم يذكر له ميزان .⁽²¹⁾

ثم ذكر القواعد الصرفية التي تحكم في بعض الموازين .

حتى إذا جاء إلى مفردات المعجم ، أخذ يحيل إلى هذه الموازين المذكورة في المقدمة ، فلا يحتاج إلى ذكر الفعل المضارع ، ولا تهجي المصدر، ولا تحديد حركة عين الماضي والمضارع ، وكلّ ما يحتاجه هو النصّ على الباب الذي ينتمي إليه الفعل الماضي . من الأمثلة على ذلك :

" رَزَمَ الشَّيْءَ : جَمَعَهُ . وبابه نَصَرَ .

الرُّزْمَةُ بكسر الراء : الكآزة من الثياب " ⁽²²⁾.

وعند ذلك يعرف القارئ أن تصريف الفعل الماضي (رَزَمَ) ، مماثل لتصريف (نَصَرَ) المنصوص عليه في

مقدمة المعجم ، وهو (رَزَمَ يَرزُمُ رَزْمًا) .

2 - الاختصار بالحذف :

وهي منهجية تسمّى معظم المختصرات ؛ إذ يعمد المؤلف إلى تقليل اللفظ مع المحافظة قدر الإمكان على المعنى، فيحذف المختصر ما يراه زيادة على المقصود ، ويبقي على ما يراه مهمّاً.

²⁰ المفردات المعرفية : هي المفردات اللغوية وتصريفاتها واشتقاقاتها المذكورة في المواد اللغوية داخل المعجم .

²¹ ينظر: الرازيّ ، محمد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، المقدمة ص 5 - 6 .

²² المصدر نفسه ، مادة (ر ز م) .

ومن أبرز المحذوفات: الألفاظ الغريبة، و المعاني الغريبة والمهملة، والتكرار، والأسانيد، والشواهد المتعددة، وعبارات المديح والذم، وكل ما يمس العقيدة والدين.

ويعد الاختصار الطريقة الأساسية الذي اعتمدها الرازي في معجمه (مختار الصحاح)، ومن وسائل الحذف المنهجية التي اتبعها الرازي:

أ. حذف الألفاظ العويصة والغريبة :

أهمل الرازي عدداً كبيراً من مداخل الصحاح، ذات الألفاظ العويصة والغريبة التي يصعب على الدارسين حفظها. وهذه إحدى وسائل الاختصار والتسهيل التي اتبعها، وأعلن عنها في مقدمته بقوله: " واجتنبت فيه عويص اللغة وغريبها طلباً للاختصار وتسهيلاً للحفظ " (23).

وقد تكون المادة برمتها غريبة، فيحذف الرازي تلك المادة، أو قد يكون أحد مشتقات المادة غريباً، فيبقى على المادة ويحذف المدخل الغريب فقط.

ومن الأمثلة على المادة الغريبة في الصحاح، مادة (ج ح ل):

" الجُحال بالضم : السَّمُ. وأنشد الأحمر:

جَرَّعَهُ الذِّيْقَانِ وَالْجُحَالَ

وأما الجُحَالُ بالخاء فلم يعرفه أبو سعيد... " (24).

وأبو سعيد هذا، هو أبو سعيد السيرافي شيخ الجوهري صاحب الصحاح.

فإذا لم يعرفه أبو سعيد فما فائدته لعامة المثقفين؟ ولهذا تركه الرازي.

ومن الأمثلة على مداخل الصحاح العويصة الغريبة التي أهملها " مختار الصحاح " على الرغم من احتفاظه

ببقية

مدخل المادة، مدخل (الخَازِنَاذ) :

" الخَازِنَاذ دُبَابٌ ؛ وهما اسمان جُعلا واحداً وئِنْيَا على الكسر، ولا يتغيران في الرفع والنصب والجر. قال عمرو

بن الأحمر :

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارِي وَجُنَّ الْخَازِنَاذُ بِهِ جُنُونًا

وقال الأصمعي : الخَازِنَاذ حكاية لصوت الذباب فسمَّاه به ... " (25)

ب. حذف المعاني المهملة والغريبة والنادرة :

لا يقتصر الاختصار على حذف الألفاظ العويصة والغريبة فقط، وإنما يشمل كذلك حذف معاني بعض

الألفاظ عندما يصيبها التطور في فترات زمنية متتالية فتختفي بعض المعاني أو تتغير بحسب الاستعمال.

لذلك عندما يكون المدخل مشتركاً لفظياً له عدة معانٍ، بعضها لا يحتاجه القارئ المثقف في فترة ما - أي في

عصر صناعة المعجم - فيعمد المعجمي إلى حذفه توحياً للاختصار.

ومن الأمثلة على ذلك، مدخل " الدَهْمَاء " فقد أورد لها الجوهري في الصحاح عدّة معانٍ :

" الدَهْمَاءُ : القِدْرُ .

²³ الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، المقدمة ص 5.

²⁴ الجوهري، إسماعيل بن حماد. تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (ج ح ل).

²⁵ المصدر نفسه، مادة (ح و ز).

والوطأة الدهماءُ : القديمة . والحمراء : الجديدة . والدهماءُ : سخنةُ الرجل .
والشاةُ الدهماءُ الحمراء : الخالصةُ الحمراء . ودهماءُ الناس : جماعتهم⁽²⁶⁾ .
أما الرازيّ فيكتفي بذكر " الشاةُ الدهماءُ الحمراء : الخالصةُ الحمراء " (27) .
وقد يكون المعنى غريباً وعويصاً ونادراً ، فلا تحتاجه العامةُ أو المتقف ، فيحذفه الرازيّ ، كما في مدخل
(الرَّحْمَةُ) التي أورد لها الصحاح معنيين ، هما :
"الرَّحْمَةُ: طائرٌ أبقع يشبه النسر في الخلقة يُقال له الأثوق. والجمع رَحَمٌ . وهو للجنس. قال الأعشى:
يا رَحْمًا قَاطَظَ على مطلوبِ
والرَّحْمَةُ أيضاً قريب من الرَّحْمَةِ ، يقال: وقعت عليه رَحْمَتُهُ ، أي محبتهُ وليئهُ.
أبو زيد: رَحْمَةُ رَحْمَةٌ، ورحمهُ رحمةً، وهما سواء. قال الشاعر:
كأنها أمٌ ساجي الطرفِ أخذَها
مستودعٌ حَمَرَ الوَعَساءِ مَرخومُ
قال الأصمعيّ: ألقيت عليه رَحْمَةً أمّه، أي حُبها وإلفها ، وأنشد لأبي النجم:
مُدلِّلٌ يشتمُنَا ونَرَحْمُهُ
أطيبُ شيءٍ نَسْمُهُ ومَأْتَمُهُ ..."⁽²⁸⁾ .
أما الرازيّ فأهمل المعنى الثاني (أي الرَّحْمَةُ بمعنى الرَّحْمَةِ)، واقتصر على المعنى الأول مختصراً، كما يأتي :
" الرَّحْمَةُ : طائرٌ أبقع يشبه النسر في الخلقة، وجمعه رَحَمٌ وهو للجنس " (29) .
ج. حذف المصطلحات العروضية :

اعتمد الجوهريّ في كثير من مواده كغيره من أصحاب المعاجم في القرن الرابع الهجريّ على المعاجم
الأخرى ، وخصوصاً معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيديّ ؛ لذلك نجد الصحاح ينطوي على مجموعة من الخليط
اللغويّ الذي يكاد أن يكون حرفياً في أغلب الحالات ، من هذا الخليط اللغويّ المصطلحات العروضية التي حذفها
الرازيّ لتوجيه الاهتمام إلى تفسير الألفاظ ، وبيان دلالاتها ، وترك ما دون ذلك . ومن ذلك حذف الرازيّ لمدخل
(التأسيس) الذي أوضح الجوهريّ أنّه الألف التي يفصلها حرف واحد عن الروي ، قائلاً:
"والتأسيسُ في القافية هو الألفُ التي ليسَ بينها وبينَ حرفِ الرويِّ إلا حرفٌ واحدٌ . كقولِ الشاعرِ:
كَلِينِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ
وَلَيْلِ أَفَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ"⁽³⁰⁾
د. حذف المعلومات الموسوعية :

إنّ أحد الفروق بين الموسوعة والمعجم هو اشتمال الموسوعة على أسماء الأعلام من أشخاص، وأماكن
جغرافية. مثل البلدان والجبال والأنهار والوديان . وأعياد ، ووقائع حربية ، وأعمال فنية وأدبية وغيرها ، ممّا يُطلق عليه
عادة بالمعلومات الموسوعية. أمّا المعجم اللغويّ فإنّه يخلو من تلك المعلومات الموسوعية . وقد دأب أصحاب المعاجم
التراثية على إدخال المعلومات الموسوعية فيها ، جرياً على ما سنّه الخليل في معجمه الرائد، كتاب (العين) .
ويطلق اللغويون المعاصرون على هذا النوع من المعاجم اسم المعاجم الموسوعية. ولكنّ المعجم اللغويّ البحث لا

²⁶ المصدر نفسه ، مادة (د ه م) .

²⁷ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (د ه م) .

²⁸ الجوهريّ ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (ر خ م) .

²⁹ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (ر خ م) .

³⁰ الجوهريّ ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (أ س س) .

يشتمل على أية معلومات موسوعية ، وهذا ما فعله مجمع اللغة العربية بالقاهرة حينما أصدر المعجم الوسيط خالياً من أسماء الأعلام (31).

وكان الرازي من أوائل اللغويين العرب الذين تنبهوا إلى هذا الفرق الأساسي بين المعجم والموسوعة ، (أو بين المعجم اللغوي والمعجم الموسوعي) ، وأفاد منه في اختصار الصحاح . ولم ينتبه إلى هذه الحقيقة المهمة المعجمي الشهير مجد الدين الفيروز آبادي (ت 817 هـ) الذي عاش بعد الرازي بحوالي قرن ونصف قرن من الزمان . فمعجمه (القاموس المحيط) الذائع الصيت هو - في حقيقة الأمر - خلاصة معجمه المسمى (اللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم والعجائب) الذي كان يتألف من ستين سفرًا . ولكن الفيروز آبادي حذف في عملية الاختصار معظم الشواهد وأبقى على أسماء الأعلام (32).

ومن الأمثلة على المعلومات الموسوعية التي أوردها الجوهري في الصحاح ، وأغفلها الرازي في مختار الصحاح ، ما يأتي :

" والصفَا: موضعٌ بمكةٍ . والصفَا: اسمُ نهرٍ بالبحرين . قال لبيدٌ يصف نخلًا :

سُحُقٌ يَمْتَنِعُهَا الصَّفَا وسَرِيهُ
عُمٌّ نَوَاعِمٌ بَيْنَهُنَّ كُرُومٌ " (33) .
"وجُحْفَة : موضع بين مكة والمدينة ، وهي ميفات أهل الشام ، وكان اسمها مَهْيَعَة ، فأجحف السيلُ بأهلها ، فسميت جُحْفَة " (34) .

هـ. اختصار الشواهد:

من المعلومات التي عمد الرازي إلى اختصارها هي الشواهد ؛ إذ أدرك الرازي أنّ المعجميين العرب أكثروا من الشواهد أو استوردوا فيها ، حيث اضطروا في أحيان كثيرة إلى شرح معنى الشاهد كله أو بعضه، لأنّ الشاهد أصعب من اللفظ المطلوب فهمه .

وقد تعامل الرازي مع شواهد الصحاح بطرائق أربع :

الطريقة الأولى: الإبقاء على الشاهد القصير المفيد. كما في مدخل "السَّمْع" :

" السَّمْع : سَمَعُ الإنسان، يكون واحداً وجمعاً ، كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ﴾ ، لأنه في الأصل مصدرٌ قولك : سمعتُ الشيءَ سَمَعًا وَسَمَاعًا . وقد يُجْمَعُ على أَسْمَاعٍ . وجمع الأَسْمَاعِ أَسْمَاعٌ " (35) .

الطريقة الثانية: اختصار الشاهد بالإبقاء على موضع الشاهد منه . فقد ورد في الصحاح :

"وفي المثل: (كُنْ عَصَامِيًّا وَلَا تَكُنْ عِظَامِيًّا) يريدون به قوله:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامَا

وعَلِمَتْهُ الكَرُّ والإِقْدَامَا

وصَيْرَتْهُ ملكاً هَمَامَا " (36).

³¹ القاسمي ، علي . اختصار المعاجم : أهدافه وطرائقه ، مجلة اللسان العربي ، جامعة الدول العربية ، الرباط ، العدد 50 ، 2000 م ، ص 38 .

³² القاسمي ، علي . اختصار المعاجم : أهدافه وطرائقه ، ص 38 .

³³ الجوهري ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (ص ف ا) .

³⁴ الجوهري ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (ج ح ف) .

³⁵ الرازي ، محمد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (س م ع) .

³⁶ الجوهري ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (ع ص م) .

أما الرازيّ فقد اكتفى بإيراد الشاهد على الوجه التالي :

وعَلَّمْتُهُ الكَرَّ و الإِقْدَامَا (37)

نفسُ عِصَامٍ سوَدَّتْ عِصَامَا

وكان بإمكانه أن يقتصر على الشطر الأول فقط ، ولكنه أثار أن يحتفظ بالبيت كله لأن الوزن والقافية يسهلان حفظه ؛ فالتقصير لا يؤدي دائما إلى التيسير .

الطريقة الثالثة : الاكتفاء بذكر شاهد واحد ، إذا ذكر الجوهريّ عدة شواهد لمدخل واحد .

ومن الأمثلة على ذلك مدخل (السكُنُ) :

" والسكُنُ : أهل الدار . قال ذو الرمة :

فيا كَرَمَ السكُنُ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا

عن الدار والمُسْتَخْلَفُ الْمُتَبَدَّلِ

وفي الحديث : { حَتَّى إِنَّ الرُّمَانَةَ تُشْبِعُ السكُنُ } " (38) .

في هذا المدخل من معجم الصحاح ، نجد أنّ الجوهريّ أتى بشاهد شعريّ و حديث نبويّ . أما الرازيّ فقد حذف البيت الشعري واكتفى بالحديث النبويّ ، لأنه أوضحهما وأبسطهما ، فهو يفسر نفسه بنفسه ، وجاء المدخل في مختار الصحاح على الوجه التالي :

" والسكُنُ بِوَزْنِ الجَفْنِ : أهل الدار . وفي الحديث : { حَتَّى إِنَّ الرُّمَانَةَ تُشْبِعُ السكُنُ } " (39) .

الطريقة الرابعة : حذف الشاهد بأكمله ، إذا ما شعر الرازيّ أنّه لا حاجة إليه ، أو أنّه لا يخدم الغرض الذي

استخدم من أجله . ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في مدخل (استترقع) في الصحاح :

" واستترَّقَ الثَّوْبُ أَي حَانَ لَهُ أَنْ يُرْفَعَ .

وأما قول أبي الأسود الدؤلي :

أبَى القَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَمْرٍو وَحُبَّهَا

عجوزاً وَمَنْ يُحِبُّ عَجوزاً يُفقدُ

كثوبِ اليماني قد تقادم عهدُهُ

ورُفِعَتْهُ ما سئنت في العين واليدِ

فإنما عني به أصله وجوهه " (40) .

أما في مختار الصحاح فنجد المدخل على الوجه التالي :

" استترَّقَ الثَّوْبُ: حَانَ لَهُ أَنْ يُرْفَعَ " (41) .

لأنّ الشاهد الذي ورد في الصحاح لا يتعلق بـ (استترقع) بل بـ (رُفِعة) .

و. حذف الأسانيد :

دأب الجوهريّ على ذكر مصادره في المواد التي سمعها من شيوخه ، أو نقلها من معاجم أخرى ولم يجمعها بنفسه من الأعراب الذين شافهم في البادية ؛ ولهذا نجد الصحاح مليئاً بعبارات مثل : " قال أبو عبيدة " ، و "أشدنا أبو عمرو" ، و " ابن الأعرابي" ، أو " قال ابن الأعرابي" ، و " لم يعرفه أبو سعيد" ، و " أبو زيد" ، و " قال الفراء" .

³⁷ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (ع ص م) .

³⁸ الجوهريّ ، إسماعيل بن حمّاد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (س ك ن) .

³⁹ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (س ك ن) .

⁴⁰ الجوهريّ ، إسماعيل بن حمّاد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (ر ق ع)

⁴¹ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (ر ق ع) .

أما الرازي فقد حذف كثيراً من هذه الأسانيد طلباً للاستخفاف والإيجاز، وهرباً من التثقل والتطويل، لأن ما يحتاج إليه هو معنى الكلمة، والمعلومات المتعلقة بها، وليس اسم اللغوي الذي استقيت منه تلك المعلومات. وهذا يذكرنا بمقولة الإمام علي بن أبي طالب: " لا تنظر إلى من قال بل أنظر إلى ما قال ". ومن أراد الوقوف على المصادر الأصلية يستطيع مراجعة الصحاح. ومن الأمثلة على حذف الرازي لأسانيد، حذفه لعبارة "ابن الأعرابي" في مدخل (الغرام) الذي ورد في الصحاح على الوجه التالي:

" ابن الأعرابي: الغرام: الشر الدائم والعذاب. قال بشر:

ويوم النيسار ويوم الجفار
كانا عذاباً وكانا غراماً " (42).

وجاء المدخل في مختار الصحاح على الوجه التالي: " الغرام: الشر الدائم والعذاب ... " (43).

ز. حذف الحشو والتكرار:

حفل معجم الصحاح بكثير من الحشو، والاستطراد، والتكرار في غالبية المواضع؛ فكثير ما كان الجوهري يأتي بتعقيباتٍ بالغ فيها في الشرح والتفصيل أثقلت على مواده، وأدت إلى عدم التلاؤم في طريقة الشرح والتفصيل، وعدم التوازن في تتبع المادة اللغوية أو تضمين المفردات؛ لذلك قام بحذفها والاستغناء عنها والاقتصار على المهم الفاعل في معجمه، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في مدخل (التحجيل) الذي أوضح الجوهري أنه البياض في قوائم الفرس، ثم نجاه يستطرد في الشرح والتفصيل، فيقول:

" والتحجيل: بياض في قوائم الفرس، أوفي ثلاثٍ منها، أو في رجليه قل أو كثر، بعد أن يجاوز الأرساغ،

ولا يجاوز الركبتين والعرقوبين؛ لأنها موضع الأحبال وهي الخلاخيل والقيود.

يقال: فرس مُحَجَّلٌ، وقد حُجِّلَتْ قوائمه تحجلاً، وإنها لذات أحبال، الواحد حَجَلٌ عن الأصمعي... ولا يكون

التحجيل واقعاً بيد أو يدين ما لم يكن معها أو معهما رجل أو رجلان. فإن كان مُحَجَّلٌ يد ورجلٍ من شيق فهو

الأيامن مطلق الأيسر أو مُمَسَّلُ الأيسر مطلق الأيمن. وإن كان من خلاف قل أو كثر فهو مشكول" (44).

أما الرازي فقد حذف الحشو في التحجيل، مكتفياً بذكر " والتحجيل: بياض في قوائم الفرس أو في ثلاثٍ منها أو

في رجليه قل أو كثر بعد أن يجاوز الأرساغ، ولا يجاوز الركبتين والعرقوبين؛ لأنها مواضع الأحبال وهي الخلاخيل

والقيود. يُقال: فرس مُحَجَّلٌ، وقد حُجِّلَتْ قوائمه على ما لم يُسمَّ فاعله مُشَدَّدة، وإنها لذات أحبالٍ الواحد حَجَلٌ" (45).

وكذلك لم يغفل الرازي التكرار في اختصاره، لإدراكه أنه يدور في فلكٍ واحدٍ، ويعبر عن المعنى نفسه،

وحذفه لا يؤثر في فحوى معجمه ومصداقيته. ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في الصحاح في مدخل (المُران) ، فقد

ذكره الجوهري في باب الرءاء في مادة (م ر ر) قائلاً: " والمُران: شجر الرماح" (46). وفي باب النون مادة (م ر ن)،

قائلاً: " والمُران بالضم: الرماح، وهو فَعَلٌ والواحدة مُرَانَةٌ" (47).

⁴² الجوهري، إسماعيل بن حماد. تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (غ ر م).

⁴³ الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، مادة (غ ر م).

⁴⁴ الجوهري، إسماعيل بن حماد. تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (ح ج ل).

⁴⁵ الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، مادة (ح ج ل).

⁴⁶ الجوهري، إسماعيل بن حماد. تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (م ر ر).

⁴⁷ المصدر نفسه، مادة (م ر ن).

أما الرازيّ فقد حذف التكرار في (المُرَان) ، مكتفياً بذكره في باب النون مادة " م ر ن " فقط ، قائلاً " والمُرَانُ بِالضَّمِّ : الرَّمَاحُ . الواحدة مُرَّانَةٌ " (48).

ح. حذف القصص :

يحتوي معجم الصحاح على طائفة من القصص التي ساقها الجوهري في أثناء سعيه لجمع كل ما يتعلق بالمادة، وقد وجد الرازيّ أنّه لا طائل من ذكرها ، ويمكن الاستغناء عنها وخذفها توخياً للإيجاز . ولذلك كان - في أغلب الأحيان - يحذف تلك القصص ، ويغفلها دون أن يشير إليها ، أو يعلق على حذفها . من الأمثلة على ذلك قصة البسوس وإشعالها الحرب بين بكرٍ وتغلب التي أوردتها الجوهريّ في الصحاح في مدخل (البَسُوسُ) ، قائلاً : " والبَسُوسُ : اسم امرأة ، وهي خالة جَسَّاس بن مرّة الشيبانيّ ، وكانت لها ناقةٌ يُقال لها سراب ، فرأها كليبٌ وائلٌ في جماءٍ وقد كسرتُ بيضَ طيرٍ كانَ قد أجاره ، فرمى ضرعها بسهم ، فوثبَ جَسَّاسٌ على كليبٍ فقتله ، فهاجت حرب بكرٍ وتغلبَ ابنيّ وائلٍ بسببها أربعين سنة ، حتّى ضربت بها العربُ المثلَ في الشؤم ، و بها سمّيتُ حرب البسوس " (49).

أما الرازيّ فقد حذف قصة حرب البسوس مكتفياً بذكر : " البَسُوسُ بفتح الباء : اسم امرأة هاجت بسببها الحرب أربعين سنةً بين العرب فضربَ بها المثلُ في الشؤم فقالوا : أشأمُ من البَسُوسِ و بها سمّيتُ حربُ البَسُوسِ " (50).

3 - التهذيب بالزيادة .

عمد الرازيّ إلى تناول معجم الصحاح وفق منهجية تقارب المتن الأصليّ بالزيادة ، والشرح ، والتحليل ، والنقد ؛ إذ يضيف على الصحاح جملة من المعارف التي استمدها من شيوخه وأصحاب المعاجم ، أو من شخصيته العلمية، وقدرته على الفهم والتحليل ، وبراعته في اكتشاف الأخطاء وتصحيحها ، وإضافة الشواهد ، ومن هذه الزيادات:

أ. الزيادة على سبيل الشرح و التوضيح :

غالباً ما كان الرازيّ يزيد على معجمه (مختار الصحاح) بجمل موجزة شاملة للتفصيل ، فهو يقوم بتتبع

المادة

المعرفيّة بتعقيبات تجلو غموضها ، وتساعد على توضيحها ، لتقريبها من ذهن القارئ .

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في مدخل (طَرَحَ) :

" طَرَحْتُ الشّيءَ ، وبالشّيءِ ، طَرَحاً ، إذا رَمَيْتُهُ . وطَرَحَ النّوى بفلانٍ كلّ مَطْرَحٍ ، إذا نَأَتْ به . وطَرَحَهُ تَطْرِيحاً إذا أَكْثَرَ مِنْ طَرَحِهِ . واطْرَحَهُ أَي أَبْعَدَهُ ، وهو أَفْتَعَلَهُ ... و مطارحة الكلام معروف " (51) .

فيفعّب الرازيّ موضعاً معنى المطارحة بالقول : " قلتُ : المُطارحةُ إلقاءُ القومِ المسائلِ بعضهم على

بعض " (52) .

48 الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (م ر ن) .

49 الجوهريّ ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (ب س س) .

50 الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (ب س س) .

51 الجوهريّ ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (ط ر ح) .

52 الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (ط ر ح) .

ولم يطل الرازي في شرح الألفاظ ، وتفسيرها ، وبيان معانيها ، توخياً للإيجاز ، و نشداناً للإيضاح ، واعتماداً على القاعدة البلاغية "خير الكلام ما قلّ ودلّ" ، وقول العرب : " البلاغة الإيجاز " (53) ، ومن ذلك ما جاء في مدخل (الألف) :

" الألف من حروف المدّ و اللين والزيادات ... فإذا تحركتْ فهي همزةٌ ... وقد يُنادى بها تقولُ : أزيدُ أُقيلُ . إلا أنّها للقريب دون البعيد لأتّها مقصورةٌ " (54) .

فيعقب الرازي موضعاً وشارحاً وموجزاً " قلتُ : إنّها مقصورةٌ من يا أو من أيا أو من هيا اللاتي ثلاثتها لنداء البعيد" (55) .

ب. الزيادة على سبيل الفائدة :

لا يعني التهذيب الاقتصار على ما ورد في المعجم الأصلي فقط ، وإنما قد يرجع المعجمي إلى المعاجم الأخرى فيفيد منها ، وهذا ما فعله الرازي ، وأشار إليه في مقدمته ، بقوله : " ضمّمت إليه فوائد كثيرة من تهذيب الأزهري وغيره من أصول اللغة الموثوق بها " (56) .

من الأمثلة على ذلك ما ورد في مدخل " الركاكة " في الصحاح :
" ركّ الشيء أي رقق وضغف . ومنه قولهم : (أقطعهُ من حيثُ ركّ) ... وفي الحديث إنّهُ عليه السلام { لَعَنَ الرُّكَاكَةَ } ، وهو الذي لا يَغَار على أهله " (57) .

أما الرازي فيورد آراء العلماء فيها قائلاً : " قلتُ : في غريب أبي عيّنة و الهرويّ : الرُّكَاكَةُ مضموم مُخَفَّف ، وفي المجمل مضموم مشدّد ، وفي التهذيب مفتوح مخففاً لا نصّاً " (58) .

وقد كان الرازي موضوعياً في معجمه (مختار الصحاح) ؛ إذ كان يتحرى المفردات ، ويردّ بعضها إلى أصولها ، كما كان يلتزم الأمانة العلمية في تعقيباته ، ويتقصى الدقة في مروياته .
ومن ذلك ما جاء في مدخل (الذبحة) :

" الذبحة: وجّع في الحلق . يقال: أخذته الذبحةُ. قال أبو زيد ولم يَعْرِفِ الذبحةَ بالتسكين، الذي عليه العامّة" (59) .

فيورد الرازي آراء العلماء فيها ، فيقول : " الذبحة في الديوان بسكون الباء ، ونقل الأزهري عن الأصمعيّ أنّه بسكون الباء ، وعن أبي زيد أنّه بفتحها " (60) .

ولم يكتف الرازي ببيان آراء المعجميين في بعض الألفاظ والمعاني فقط ، بل أضاف من معلوماته الخاصة استكمالاً للفائدة . فمثلاً في مدخل (الدبر) يذكر الجوهري :

⁵³ قال سهل بن هارون : " خير الكلام ما قلّ ودلّ ولم يمل " ، وقال ابن المعتز : " أبلغ الكلام ما حسن إيجازه " . ينظر: النويري ، شهاب الدين . نهاية الأرب في فنون العرب ، تح : علي بوملجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2004 م ، 7 : 11 - 12 .

⁵⁴ الجوهري ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (آ) .

⁵⁵ الرازي ، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، مادة (آ) .

⁵⁶ الجوهري ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، المقدمة ص 5 .

⁵⁷ المصدر نفسه ، مادة (ر ك ك) .

⁵⁸ الرازي ، محمد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (ر ك ك) .

⁵⁹ الجوهري ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (ذ ب ح) .

⁶⁰ الرازي ، محمد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (ذ ب ح) .

" الذُّبْرُ : الكِتَابَةُ مِثْلُ الزُّبْرِ . وَقد دَبَّرْتُ الكِتَابَ أَذْبَرُهُ وَأَذْبِرُهُ ذَبْرًا . وَأَنشد الأَصمعيّ لأبي ذؤيب :
عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَقَمِ الدَّوَا
وَ يَذْبُرُهَا الكَاتِبُ الجَمِيرِيّ " (61) .
أما الرازيّ فلم يكنفِ بذلك بل أورد آراء العلماء في معنى الذُّبْرِ قائلاً : " قلت : قال الأزهرِيّ : قال أبو عبيدة :
زَبَرْتُ الكِتَابَ وَدَبَّرْتُهُ : كَتَبْتُهُ . وَدَبَّرْتُهُ : قَرَأْتُهُ " (62) .
ثم يذكر رأيه قائلاً : " والذُّبْرُ بمعنى القراءة أشدُّ مُنَاسِبَةً في البيت " (63) .

ج. الزيادة على سبيل النقد وتصحيح الأغلط :

الرازيّ لغويّ مفسّر ، وفقه صوفيّ ، وأديب له نظم في الشعر والنثر ، لذا نراه يكشف الأغلط ، وينقدها
ويعمل على تصحيحها ، معلاً لها حيناً ، ومغفلاً لها التعليل حيناً آخر .

ومن أمثلة ذلك ما ورد في مدخل (الدار) :

" الدار مؤنثة . وإنما قال الله تعالى : ﴿ لَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ فذكر على معنى المنوى والموضع . كما قال
﴿ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ فأنت على المعنى " (64) .

فيعقب الرازيّ منتقداً رأي الجوهريّ ومصححاً له ، فيقول: " قلت : التانيث في " حَسَنَتْ " ليس على المعنى بل
على لفظ " الأرائك " إن أُريدَ بالمُرْتَفَقِ مَوْضِعُ الإزْتِفَاقِ وهو الاتكاء، أو على لفظ " الجَنَاتِ " إذا أُريدَ بالمُرْتَفَقِ
المنزل " (65) .

وقد أدرك الرازيّ أنّ الجوهريّ قد ذكر في معجمه ألفاظاً لم تثبت صحتها، ولم تكن موثوق الرواية عند
العرب، فعمل على توضيح وبيان أوجه الصحة فيها .

ومن أمثلة على ذلك مدخل (الظَّهَار) :

" الظَّهَار : قولُ الرَّجُلِ لامرأته أنتِ عليّ كظَهْرِ أُمِّي . وقد ظَاهَرَ من امرأته وتَظَهَّرَ من امرأته وظَهَّرَ من امرأته
تَظْهِيراً ، كُلُّهُ بمعنى " (66) .

فيعقب الرازيّ قائلاً : " قلت : ترك (تَظَاهَرَ) منها وهي ما فُرئ به في السَّبْعَةِ ، وَذَكَرَ (ظَهَّرَ) الذي من
عَرَابِيَّتِهِ لم يُفْرَأَ في الشَّوَادِ أيضاً " (67) .

فنجده ينتقد ذكر الجوهريّ لفظ (ظَهَّرَ) لغرابته ، ثم يذكر لفظ (تَظَاهَرَ) بالموضع الذي هو أحقّ بها ، ليخفف
ويسهل حفظه على الدارس ، وليكون اللفظ مقتضي للمعنى الذي قصد إليه .

د. الزيادات على الشواهد :

وقد استخدم المعجميون العرب الشواهد لأغراض متعدّدة أهمّها :

1. إثبات وجود الكلمة في اللغة العربية، بدليل ورودها في القرآن أو الحديث أو بيت شعريّ أو مثل سائر أو

نحوه .

⁶¹ الجوهريّ ، إسماعيل بن حمّاد . تاج اللغة وصحاح العربيّة ، مادة (ذ ب ر) .

⁶² الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (ذ ب ر)

⁶³ المصدر نفسه ، مادة (ذ ب ر) .

⁶⁴ الجوهريّ ، إسماعيل بن حمّاد . تاج اللغة وصحاح العربيّة ، مادة (د و ر) .

⁶⁵ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (د و ر) .

⁶⁶ الجوهريّ ، إسماعيل بن حمّاد . تاج اللغة وصحاح العربيّة ، مادة (ظ ه ر) .

⁶⁷ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (ظ ه ر) .

2. توضيح معنى الكلمة، لأنّ السياق يساعد على تحديد معنى اللفظ الوارد فيه .
3. مساعدة القارئ على الوقوف على سلوك اللفظ النحويّ عندما يستعمل في نصّ حيّ .
- وهذا ما فعله الرازيّ في معجمه (مختار الصحاح) بزيادته الشاهد القصير المفيد ، كما في مدخل (الأصْهار) :
- " الأصْهار : أهلُ بيْتِ المرأَةِ عند الخليل . وقال : ومن العرب مَنْ يَجْعَلُ الصِهْرَ من الأَحْمَاءِ والأَخْتَانِ جميعاً...وصَهْرَ الشيءِ فأنصَهَرَ ، أي أذابه فذاب . فهو صِهْرٌ " (68) .
- فيوضّح الرازيّ هذا المعنى مستشهداً له بآية قرآنية، قائلاً: "منه قوله تعالى: ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ﴾" (69). ومن ذلك أيضاً ما ورد في مدخل (الصَّفْواء) :
- " الصَّفْواء : الحجارة اللينة المُلسِ ... وكذا الصَّفْوانُ ، الواحدة صَفْوانَةٌ " (70) .
- فقد استشهد الرازي لهذا المعنى أيضاً بآية قرآنية ، فيقول : قلت : منه قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴾ . ويقصد الحجارة " (71) .

ولم يقتصر الرازيّ في زياداته على الشواهد بزيادة الشاهد القصير على " الصحاح " فقط ، وإنما زاد على الشاهد نفسه عندما يشعر بنقص فيه ممّا يساعد على إيضاحه وسهولة حفظه . ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في مدخل (الحَرْثُ) الذي جاء في الصحاح على الوجه التالي :

" والحَرْثُ : كَسْبُ المالِ . وفي الحديثِ { احْرُثْ لَدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا } " (72).

وأما الرازيّ فذكر الشاهد كاملاً ، فجاء المدخل عنده : " الحَرْثُ : كَسْبُ المالِ وَجَمْعُهُ أَحْرَاتٌ وبَابُهُ نصر ، قلتُ: تَمَامُ الحديثِ : { وَاَعْمَلْ لِأَحْرِيَّتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ عَدَاً } " (73) .

الخاتمة :

من خلال ما تقدّم نجد أنّ حركة التهذيب والاختصار أسهمت في رفد التراث المعرفي العربيّ بمؤلفات قيمة ، تكاملت مع المؤلفات الأصلية في تشكيل مشهد ثقافيّ ، يرقى بالحضارة العربية الإسلامية إلى مستويات معرفية لا يختلف اثنان حول أهميتها .

وإنّ هذه المختصرات تعبّر عن المزاج الثقافيّ العربيّ في إحدى مراحل تطوّره ، وهو مزاج يبنّي على فاعلية الاختيار القائمة على ذوق المؤلف، وهذا الذوق ليس عشوائياً بقدر ما هو نظرة نقدية فاحصة تصطفي ماتراه مفيداً. وإنّ تعميم صفة الجمود والانحطاط على ظاهرة المختصرات هو تعميم خاطئ ، فبعض المختصرات يشتمل ، فيما يشتمل ، على مراجعات نقدية تعنى بزيادة ما ورد في المعاجم الأصلية ، إذ تهض هذه المختصرات بمهمة تسليط الضوء على أهمّ ما أنتجته الثقافة العربية في تلك المعاجم ، وحصرتها في مؤلف مختصر يعزّز من فائدتها المنثورة في تضاعيف الأصول ذات الصفحات المتعدّدة والاستطرادات الطويلة .

⁶⁸ الجوهريّ ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (ص ه ر) .

⁶⁹ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (ص ه ر) .

⁷⁰ الجوهريّ ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (ص ف ا)

⁷¹ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، ، مادة (ص ف ا) .

⁷² الجوهريّ ، إسماعيل بن حماد . تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (ح ر ث) .

⁷³ الرازيّ ، محمّد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، مادة (ح ر ث) .

وقدم البحث أنموذجاً عن المختصرات وهو (مختار الصحاح) لأبي بكر الرازيّ الذي سعى إلى فكّ ما استغلق في معجم الصحاح للجوهريّ من مفردات وقواعد نحويّة وصرفيّة ، فعمد إلى شرحها ، وإيضاح الغامض منها ، وإيجازها وتيسير الصعب فيها ، وفي ذلك خدمة جليلة للعلم والمتعلّمين ، وهذا ما دفع بعض طلاب العلم وغيرهم إلى الإقبال على المعجم توجيهاً للفائدة واختصاراً للوقت .

وقد اعتمد الرازيّ على طرائق تقوم على تخطيطٍ محكمٍ ، وأسسٍ علميّةٍ ، جعلت من معجم (مختار الصحاح) أشهر مختصرات الصحاح وأيسرها ، ومكّنته من التفوق على جميع المختصرات الأخرى حتّى تلك التي أنجزها علماء مشهود لهم بالمعرفة والخبرة مثل محمود الزنجانيّ (ت 656 هـ) و خليل بن أبيك الصفديّ (ت 764 هـ) وغيرهما .

المصادر والمراجع:

الكتب :

-القرآن الكريم .

- 1 ابن منظور، جمال الدين محمد بن عليّ . لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة، 1994م.
- 2 للجوهريّ ، إسماعيل بن حمّاد . تاج اللغة وصحاح العربيّة ، تح: أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1979م .
- 3 الحمويّ، ياقوت. معجم الأديباء، تح: د. إحسان عبّاس ، دار الغرب الإسلاميّ ، بيروت ، ط1 ، 1993م .
- 4 للرازيّ ، محمد بن أبي بكر. تفسير الرازيّ ، تح : محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، بيروت ، 1990م .
- 5 -الرازيّ ، محمد بن أبي بكر . مختار الصحاح ، دقّقه : د.عصام فارس الحرسانيّ ، دار عمّار ، عمان ، ط9، 2005م .
- 6 -السيوطيّ ، جلال الدين . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ ، مصر ، ط1 ، 1965م .
- 7 للسيوطيّ ، جلال الدين . المزهريّ في علوم اللغة ، ، تح : محمد جاد المولى - محمد أبو الفضل إبراهيم - عليّ محمد البجاوي ، المكتبة العصريّة ، بيروت ، 1986م .
- 8 عطار ، أحمد عبدالغفور. مقدّمة الصحاح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط3 ، 1984م .
- 9 نصّار ، حسين . المعجم العربيّ : نشأته و تطوّره ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ط4 ، 1988م .
- 10 للنويريّ ، شهاب الدين . نهاية الأرب في فنون العرب ، تح : عليّ بوملجم ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط1، 2004م .
- 11 الهابط ، فوزي يوسف . المعاجم العربيّة موضوعات وألفاظاً ، الولاء للطبع والتوزيع ، ط1 ، 1992م .
- 12 يعقوب ، اميل ؛ بركة ، بسام ؛ سيخاني ، مي . قاموس المصطلحات اللغويّة والأدبيّة ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط1 ، 1987م.

المجلّات والدوريات :

- 1 شرف ، محمد ياسر. اضطراب معاجم اللغة العربيّة ، مجلة الموقف الأدبيّ ، اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق، العددان 461 - 462 ، 2009م .
- 2 للقاسميّ ، عليّ . اختصار المعاجم : أهدافه وطرائقه ، مجلّة اللسان العربيّ ، جامعة الدول العربيّة ، الرباط، العدد 50 ، 2000م .